Journal Of the Iraqia University (72-2) May (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الفطرة بين الثابت والمتغير / دراسة عقدية فلسفية

م.م نور فاضل عباس جامعة ديالى / كلية العلوم الاسلامية

"Innate Nature Between the Constant and the Variable: A Doctrinal and Philosophical Study"

Prepared by: M.M. Noor Fadel Abbas
m.noorfade@uodiyala.edu.iq

الملخص :

يتناول هذا البحث مفهوم الفطرة في العقيدة الإسلامية، حيث تمثل الطبيعة الإنسانية التي خلق الله الناس عليها، وتميل إلى التوحيد والإيمان الفطري بالله. يهدف البحث إلى دراسة مدى ثبات الفطرة مقابل تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية عليها، من خلال تحليل عقدي وفلسفي يقارن بين الرؤية الإسلامية والمفاهيم الفلسفية الأخرى.يركز البحث على الجوانب الثابتة في الفطرة، مثل الإيمان الفطري بالقيم الأخلاقية كالتوحيد والعدل، في مقابل الجوانب المتغيرة التي تتأثر بالبيئة والتربية والمجتمع. كما يتناول البحث موقف الفلاسفة المسلمين مثل الغزالي وابن تيمية، الذين أكدوا على ثبات الفطرة، مقارنةً بالفلسفات الغربية التي ترى الإنسان ككائن متغير وفقًا للظروف المحيطة.ويخلص البحث إلى أن الفطرة تتسم بالثبات في جوهرها، إلا أنها تتفاعل مع المؤثرات الخارجية التي قد تعززها أو تضعفها، مما يستدعي الحفاظ عليها من خلال التربية والتعليم والتوجيه السليم.كلمات المفتاحية (الفطر_الثابت_المتغير_العقيدة_ التأثيرات الاجتماعية)

Abstract:

This research deals with the concept of instinct in the Islamic faith, as it represents the human nature that God created people with, and tends towards monotheism and innate faith in God. The research aims to study the stability of instinct versus the influence of cultural and social factors on it, through a doctrinal and philosophical analysis that compares the Islamic vision with other philosophical concepts.The research focuses on the fixed aspects of instinct, such as innate faith in moral values such as monotheism and justice, versus the variable aspects that are affected by the environment, upbringing and society. The research also addresses the position of Muslim philosophers such as Al-Ghazali and Ibn Taymiyyah, who emphasized the stability of instinct, compared to Western philosophies that view man as a variable being according to the surrounding circumstances.The research concludes that instinct is characterized by stability in its essence, but it interacts with external influences that may enhance or weaken it, which requires preserving it through upbringing, education and proper guidance.

(Fitrah_The Constant_The Variable_Aqidah_Social Influences)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الامين وعلى آله وصحبه أجمعين .اما بعد تُعتبر مفهوم الفطرة من أبرز المفاهيم في العقيدة الإسلامية، حيث يشير إلى الطبيعة الإنسانية الأصلية التي خلق الله عليها الإنسان، وهي طبيعة تميل إلى التوحيد وعبادة الله بشكل فطري. قال الله تعالى: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠ ، وهو ما يؤكد أن الفطرة تمثل تلك النزعة الداخلية التي توجه الإنسان نحو الخير والحق. غير أن التساؤل الذي يثار عبر العصور، وخاصة في الفلسفات الحديثة والمعاصرة، يتعلق بمدى ثبات هذه الفطرة وتأثرها بالتغيرات الثقافية والاجتماعية والفكرية.شهدت الفلسفة الغربية تحولاً كبيرًا في رؤيتها للطبيعة الإنسانية، بدءًا من النظريات التي تؤكد على وجود طبيعة إنسانية ثابتة كما في فلسفات أفلاطون وأرسطو، وصولاً إلى الفلسفات الحديثة مثل الفكر الوجودي وما بعد الحداثة التي تنكر الثبات وتعتبر الإنسان كائنًا مرنًا يخضع لتأثيرات مجتمعية وثقافية متغيرة. هذا التحول يطرح سؤالاً محوريًا: هل الفطرة ثابتة كما تؤكد العقيدة الإسلامية، أم أن الإنسان يتغير بفعل الظروف والتحديات التي يواجهها؟تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مفهوم الفطرة بين الثبات والتغيير، من

خلال تحليل عقائدي فلسفي يقارن بين الرؤية الإسلامية والرؤى الفلسفية الأخرى. ستسعى الدراسة إلى استكشاف الأبعاد المختلفة للفطرة، وتحديد مدى قدرتها على مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، مع التركيز على العلاقة بين الفطرة الطبيعية والتغيرات الاجتماعية والفكرية.واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأول بيان المصطلحات

المطلب الأول: مفهوم الفطرة

الفِطْرةُ في اللغة: بمعنى الخلق ما فَطَرَ الله عليه الخلقَ من المعرفة به وقد فَطَرَهُ يَفْطُرُه بالضم فَطْراً أَي خلقه في قوله تعالى فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديل لخلق الله(لسان العرب:٥/٣٤٣٣)الفِطرةُ اصطلاحًا: هي الطَّبع السَّويُّ، والجِبلَّة المُستقيمةُ التي خُلِقَ النَّاسُ عليهاوقيل: هي سُنَنُ الأنبياءِ.النصوص الدينية المتعلقة بالفطرة (ايات قرآنية وأحاديث):

١. قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠

٢. قال تعالى:﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٩ .

٣. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «كل مولود يولد على الفطرة يعني المعرفة بأن عز وجل خالقه(النووي:١٦/١٣٢).

المطلب الثاني :مفهوم الفطرة في الفلسفة

الفطرة في الفلسفة تعني أن العقل البشري لا يولد كصفيحة فارغة بل يولد حاملا معه أساس المعرفة الفطرية والبديهية والتي تتطور مع الخبرة المكتسبة(خليل العبادي:٤١١-٤١٢)الفطرة في الفلسفة الإسلامية الفطرة في الفلسفة الإسلامية تشير إلى الأصل الذي جُبل عليه الإنسان بطبيعته السليمة قبل أن تتأثر بالبيئة والمجتمع. هذا المفهوم يحظى بمكانة مركزية في الفكر الإسلامي ويظهر في السياقات التالية:يرى الفلاسفة المسلمون، كالغزالي وابن تيمية، أن الفطرة هي مصدر أصيل للمعرفة، خصوصاً في ما يتعلق بالإيمان بالله والأخلاق.الفطرة تشمل الإيمان بالغيب والاستعداد للبحث عن الحقائق الوجودية الكبرى.مفهوم الفطرة عند الغزالي اعتبر الغزالي الفطرة نوعاً من الاستعداد النفسي والروحي للمعرفة والإيمان، وأشار إلى أن التعليم والتوجيه السليم يساعدان على تنمية هذه الفطرة(الغزالي:١٧٨-١٨٠).مفهوم الفطرة عند ابن تيمية ركّز ابن تيمية على أن الفطرة هي معرفة ضرورية وإيمان داخلي بوجود الله، وهي الحجة التي تدعم الإيمان حتى قبل النظر الفلسفي أو الشرعي(ابن تيمية:٣/٧٠-٧١).

المبحث الثاني: الفطرة بين الثابت والمتغير في العقيدة الإسلامية

تُعدّ الفطرة من المفاهيم المحورية في الفكر الإسلامي، إذ تشير إلى الطبيعة الأصيلة التي فطر الله الناس عليها، وهي تشكّل قاعدة لفهم سلوك الإنسان وقيمه. وقد جاء ذكر الفطرة في القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: ٣٠) ، مما يدل على ثباتها بوصفها جوهرًا إلهيًا يوجه الإنسان نحو الحق والخير.مع ذلك، فإن الفطرة لا تعمل بمعزل عن المؤثرات الخارجية، بل تتأثر بالعوامل الثقافية والاجتماعية والبيئية، مما يفتح الباب أمام تغيرات في مظاهر الفطرة وسلوك الأفراد. هذا التفاعل بين الثابت (جوهر الفطرة) والمتغير (العوامل المؤثرة) يجعل من دراسة الفطرة موضوعًا ديناميكيًا يتطلب فهمًا عميقًا لمجالات التأثير المختلفة.

المطلب الأول : الجوانب الثابتة في الفطرة

الفطرة كدليل على التوحيد والإيمان بالله و الثبات الأخلاقي في الفطرة.

الجوانب الثابتة في الفطرة تُشير إلى المكونات الطبيعية الأساسية التي خلق الله الإنسان عليها، والتي تبقى ثابتة ومستقرة في طبيعته الإنسانية. هذه الجوانب تُعتبر مرجعية للإنسان في فهم الخير والشر، الصواب والخطأ، وهي تشكل جزءًا لا يتجزأ من هويته. يمكن تلخيص الجوانب الثابتة في الفطرة فيما يلي:

١. الفطرة كدليل على التوحيد(علي القرني:١٠)الإحساس الفطري بوجود الله: جميع البشر لديهم إدراك داخلي بأن هناك خالقًا أعظم، حتى لو لم يتعرضوا لتأثيرات خارجية كالتعاليم الدينية.وكما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) والفطرة أصله اسم الهيئة من الفطر وهو الخلق مثل الخلقة، كما بينه قوله التي فطر الناس عليها، أي جبل الناس عليها وخلقهم عليها أي متمكنين منها ثم قال: ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير محافية لها مثل إثبات الوحدانية الله لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح(الهزرشي:٢٣).الميول الطبيعية للتدين: الإنسان يميل فطريًا للبحث عن معنى الحياة وإقامة علاقة مع الله، مما يُثبت أن التوحيد جزء من تكوينه الطبيعي.كقول الدكتور سيد عبد الحميد

مرسي:(وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة مصوره لله ربه ، ونصاعة هذا التصور وبساطته انه اله واحد ، يتجه اليه المسلم في ثقة وطمأنينة ووضوح .. وهو انه قادر عزيز قاهر ، فاذا اتجه اليه المسلم فقد اتجه الى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود . ولم يعد يخاف أحدا أو يخشى شيئا وهو اله عادل حكيم ، فقوته وقدرته ضمان من الظلم والقهر والطغيان ، ومن ثم يأوى المسلم من الهه الى ركن رشيد ينال : فيه العدل والرعاية والأمان .. وهو رب رحيم ودود ، منعم وهاب ، غافر الذنب وقابل التوب . فالمسلم في كنفه آمن ، مرحوم اذا ضعف ، مغفور له متى تاب)(مرسي:٧).الشعور بالعجز والاحتياج إلى الله: في لحظات الضعف أو الشدة، يتجه الإنسان تلقائيًا بالدعاء إلى قوة عليا(محمدجاسم:٢/٦١).

٢. الثبات الأخلاقي في الفطرة التمييز بين الخير والشر: الإنسان قادر فطريًا على إدراك القيم الأخلاقية الأساسية كالأمانة، والعدل، والرحمة. الاستنكار الفطري للظلم: حتى في غياب القوانين، يشعر الإنسان بالنفور من الظلم والعدوان.الشعور بالمسؤولية الأخلاقية: الفطرة تحث الإنسان على الالتزام بأخلاقيات تحافظ على توازن المجتمع(الملتقى الفكري:مقالة).

٣. الفطرة كدليل على الإيمان بالله والثبات القيمي الاتساق في القيم عبر الزمان والمكان: المبادئ الأخلاقية كحب الخير، وكراهية الظلم، ثابتة عند البشر بغض النظر عن الثقافة أو العصر.الدين كإعادة إحياء للفطرة: الأديان السماوية تُعيد توجيه الإنسان إلى فطرته الصحيحة إذا انحرفت بسبب المؤثرات الخارجية(البشير عصام: مقالة).

المطلب الثاني: الجوانب المتغيرة في الفطرة

كتأثير البيئة والتربية على الفطرة و التفاعل بين الفطرة والتغيرات الثقافية والاجتماعية تُعد الفطرة أساسًا متينًا يُبنى عليه السلوك الإنساني والقيم الأخلاقية، إلا أنها لا تعمل بمعزل عن البيئة المحيطة، بل تتفاعل مع التغيرات الثقافية والاجتماعية التي تطرأ على المجتمعات. يُظهر هذا التفاعل تأثيرًا مزدوجًا؛ حيث يمكن للتغيرات أن تدعم الفطرة وتساعد على تنميتها، أو تُضعفها وتطمس معالمهافي ظل التحولات الاجتماعية السريعة والعولمة الثقافية، أصبحت الفطرة تواجه تحديات كبيرة، مثل تأثير القيم الدخيلة، وانهيار بعض الأعراف الأخلاقية التقليدية، وزيادة النزعة الفردية والمادية. ومع ذلك، يبقى الإنسان قادرًا على التمسك بالفطرة السليمة إذا وُجدت منظومة تربوية وثقافية تدعمها.هنا استعرض طبيعة هذا التفاعل بين الفطرة والتغيرات الثقافية والاجتماعية، مع التركيز على الأثر المتبادل بينهما، وأهمية إيجاد توازن يضمن تعزيز الفطرة رغم المتغيرات المحيطة.

ومن هذه التغيرات هي:

أ تأثير البيئة والتربية على الفطرة

منذ ولادة الإنسان وحتى نهاية حياته، تلعب البيئة المحيطة دورًا محوريًا في تشكيل شخصيته وسلوكياته. يولد الإنسان على الفطرة النقية، إلا أن تأثيرات العوامل المحيطة تبدأ في الظهور تدريجيًا مع نموه وتطوره. فالأسرة، بما فيها من قيم ومعتقدات، تلعب دورًا رئيسيًا في التوجيه الأولي، حيث يمكن أن تكون سببًا في غرس معتقدات إيجابية أو سلبية. يقول الحديث الشريف: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".تتعدد العوامل المؤثرة في الإنسان بمرور الوقت، وتشمل تعليم الوالدين وثقافتهم، البيئة المدرسية، الأصدقاء، والمجتمع الذي يعيش فيه. السنوات الأولى من حياة الإنسان تعد أساسية في تشكيل شخصيته وميوله المستقبلية، إذ تؤسس القيم التي تنعكس لاحقًا على سلوكياته.الظروف الاجتماعية والاقتصادية تمثل أيضًا عاملًا مهمًا في تشكيل الإنسان. من ينشأ في بيئة صالحة ذات قيم أخلاقية يكون أكثر عرضة لاكتساب هذه القيم، بينما قد يعاني من ينشأ في بيئة غير مستقرة أو فاسدة من انعكاسات سلبية على شخصيته. كما أن الفقر والغنى لهما تأثيرات واضحة؛ حيث يمكن أن ينتج عن الفقر قوة تحمل وصبر، بينما قد يؤدي الترف الزائد إلى ضعف الإرادة.يتباين تأثير البيئة من شخص لآخر؛ فمنهم من يتأثر سلبيًا وينقاد لما فرضته عليه الظروف، ومنهم من يقاوم ويحاول تحسين واقعه، مستعينًا بإرادته وقيمه الأخلاقية. الأشخاص الذين يثبتون أمام التحديات ويحتفظون بضميرهم الحي غالبًا ما يتمتعون بدعم نفسي وروحي يعينهم على مواجهة الصعاب. وكما قيل:

"وينشأ ناشئ الفتيان على ما كان عوده أبوه"

العوامل المؤثرة على الفطرة هناك عدد من العوامل التي تؤثر على الفطرة، ويمكن عرضها على النحو الآتي:

١. التربية :التربية الصالحة هي أساس بناء شخصية الإنسان وتنمية قدراته الفطرية. الفطرة في الإسلام تشير إلى الطبيعة النقية والخير الذي يولد عليه الإنسان، كما قال الله تعالى:﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: ٣٠) . التربية الصالحة تسهم في تنمية هذه الفطرة وتعزيزها، بينما قد تؤدي التربية السيئة أو الإهمال إلى تشويهها أو طمسها.فعلوان يقول : فالأبوان إذن هما المسئولان أولاً وآخراً عن إعداد الولد على الإيمان والخلق ، وتكوينه على النضج العقلي والاتزان النفسي وتوجيهه إلى التزود بالعلوم النافعة والثقافات المفيدة المتنوعة(ناصح علوان:٢/٦٠٢)هذا

الحديث النبوي الشريف يؤكد بشكل كبير أهمية البيئة الصالحة في تكوين الإنسان المؤمن، وتوجيهه نحو الصلاح والتقوى. فالبيئة تؤثر على القرارات والسلوكيات، كما تبرز القصة التحول الإيجابي الذي يمكن أن يطرأ على حياة الإنسان بمجرد انتقاله من بيئة فاسدة إلى بيئة صالحة.القصة تبين أن الرجل الذي قتل مئة نفس لم يُغلق أمامه باب التوبة، بل وُجِّه إلى ضرورة تغيير محيطه للابتعاد عن أرض السوء التي كانت سببًا في ضلاله. التوجيه إلى أرض صالحة، فيها أناس يعبدون الله، يؤكد دور البيئة في دعم التوبة والاستقامة.إضافة إلى ذلك، فإن الحديث يُظهر رحمة الله الواسعة وقبوله للتوبة إذا اقترنت بالصدق والعزم على الإصلاح. حتى المسافة القليلة التي قطعها نحو البيئة الصالحة كانت كافية لأن تُرجح كفته لصالح ملائكة الرحمة، مما يعكس أهمية النية والعمل ولو بخطوات بسيطة نحو التغيير الإيجابي.هذا يجعل الحديث دليلاً تربويًا مهمًا على أن الإنسان يمكن أن يغير واقعه ومصيره بالتوجه نحو بيئة أفضل(ناصح علوان:٣/٦٣٦-٦٣٧). فالبيئة العائلية هي التي تعزز الإيمان والأخلاق، وتوجه الطفل نحو القيم الصحيحة.

٢. التعليم النافع : (كالمدارس والمساجد والمعلمون القدوة).تُعتبر المدرسة واحدة من أبرز المؤسسات التي تؤثر بشكل مباشر على الفطرة من خلال غرس القيم والمبادئ في نفوس الأجيال الناشئة. ومن منظور الإسلام، تتمثل الوظيفة الأساسية للمدرسة في تحقيق التربية الإسلامية، المرتكزة على أسسها الفكرية والعقدية والتشريعية، مع التركيز على أهدافها الرئيسية، وأهمها عبادة الله وحده، الالتزام بأوامره، وتنمية قدرات ومواهب الطلاب بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية. هذه الشريعة تتوافق مع الفطرة السليمة التي جُبِل الناس عليها، وتهدف إلى حمايتها من الانحراف والفساد.
إن دور المدرسة مكمِّل لدور المسجد ودور الأسرة، وينبغي أن يكون هناك تكامل وتعاون وتنسيق.إذًا المدرسة تقوم بترسيخ هذه القيم، ويمكن لها أن تقدم نماذجَ حية للسلوك وعرض الأنماط السلوكية المقبولة والاقتداء بها(د.شرين خورشيد :٢٠١٩/٩/٢٢)وللمعلم دورٌ كبير؛ فهو الذي: يغرس الأخلاق الفاضلة، والصفات النبيلة، والعادات الصحية، والثقافة الأصيلة، وتنمية روح الانتماء للوطن، والولاء للعقيدة، ثم للأمة والشعب، والنأي عن دعوات الإلحاد والطائفية، والعصبية والحزبية، والعنصرية والإقليمية، والتمسك بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتراث الأمة العربية الإسلامية العريق، وأن يشذب العادات المائلة عن السبيل القويم، ويهذب التقاليد غير المستقاة من عقيدة الأمة ومنابعها الدينية والحضارية".لذلك، ينبغي على المدرسة أن تعمل على تقديم العقيدة والعلم بصورة متكاملة، مع الحرص على تنقيح المناهج الدراسية من أي مؤثرات قد تُسبب انحراف الفطرة. هذا الهدف يُعد من الركائز الأساسية للتربية الإسلامية، التي تسعى إلى حماية الفطرة السليمة التي يُولد عليها الإنسان، والتي قد تتعرض للفساد بفعل المؤثرات المجتمعية السلبية. ومن هنا، تُصبح التربية الإسلامية أداة دفاع عن الفطرة.كما يتحتم على المدرسة أن تضطلع بمسؤولياتها من خلال كوادرها التعليمية في الحفاظ على الفطرة السليمة، وتحقيق التوازن المطلوب لتنشئة أجيال قادرة على التمسك بالقيم الإسلامية والإنسانية(محمد شريف:٧٠-٧١).

٣. المجتمع:المجتمع يمثل البيئة الكبرى التي يعيش فيها الإنسان، ويشمل القيم والعادات والتقاليد والأفكار السائدة. هذه العناصر تلعب دورًا كبيرًا في توجيه الفطرة إما نحو الخير والصلاح أو نحو الانحراف والضلال.المجتمع هو البيئة الأوسع التي تؤثر بشكل مباشر على تكوين شخصية الإنسان وسلوكياته. فهو يتكون من القيم والعادات والتقاليد والأفكار التي تسيطر على أفراده. وتعتبر هذه العناصر قوة مؤثرة في توجيه الفطرة الإنسانية، إذ يمكن أن تقودها نحو الخير والصلاح إذا كانت تلك القيم إيجابية وتدعم الأخلاق والقيم الإنسانية النبيلة، أو قد تدفعها نحو الانحراف والضلال إذا كانت القيم والعادات سلبية أو مشوهة.لذلك، فإن تربية المجتمع على أساس المبادئ الصحيحة تلعب دورًا محوريًا في بناء الأفراد والمجتمعات الصالحة(بابائي:١١٠-١١٣).

٤. الأصدقاء ورفقاء الطريق:يميل الإنسان بفطرته إلى التأثر بمن حوله، ويتفاوت هذا التأثير بناءً على قوة حضور وتأثير الأشخاص المحيطين به، خصوصًا خلال مرحلة الطفولة. ففي هذه المرحلة، تلعب جماعة الأقران أو الأصدقاء دورًا تربويًا فريدًا. ويزداد هذا التأثير بشكل ملحوظ خلال فترة المراهقة، حيث يسعى الشباب من الجنسين إلى تقليد أقرانهم في السلوك والأفكار. لذا، يتحمل الآباء والمربون مسؤولية كبيرة في المساهمة في اختيار أصدقاء أبنائهم بعناية، إذ يصبح هؤلاء الأصدقاء لاحقًا قوة مؤثرة في حياتهم. ويطمح الآباء دومًا إلى أن يكون تأثير هذه الصداقة إيجابيًا، موجهًا أبناءهم نحو الخير، ومكونًا لرفقة صالحة(د.هالة العيساوي:٥٤).

٥. دور الإعلام والصحافة: الإعلام والصحافة لهما تأثير عميق على الفطرة الإنسانية، حيث يتمثل دورهما في تشكيل الأفكار والقيم وتوجيه المجتمعات. الفطرة هي ذلك الميل الطبيعي نحو الخير والقيم الأخلاقية الذي يولد به الإنسان. عندما تكون الرسائل الإعلامية إيجابية وتهدف إلى تعزيز القيم الأخلاقية، يمكن أن يكون للإعلام دور بناء في دعم الفطرة الإنسانية. ولكن في المقابل، عندما يروج الإعلام للمادية والسطحية أو ينشر محتويات تمس القيم الدينية والأخلاقية، فإنه قد يؤدي إلى تشويه الفطرة.يتجلى هذا التأثير السلبي في الترويج للعنف أو تطبيع السلوكيات

غير الأخلاقية أو حتى تقليل الحس الروحي لدى الإنسان. ومع ذلك، يمكن مواجهة هذه التحديات من خلال تعزيز الوعي الإعلامي، حيث يتعلم الأفراد تحليل المحتوى الإعلامي بشكل نقدي، إضافة إلى تعزيز التربية القائمة على القيم الأخلاقية والدينية منذ الصغر. يمكن للإعلام أن يكون وسيلة فعالة في نشر القيم النبيلة مثل التسامح والمحبة إذا استُخدم بشكل صحيح، مما يُبرز أهمية دور المؤسسات الإعلامية في تحقيق توازن يعزز الفطرة ويحميها من التشويه(اسماء عودة:٣٥-٦٣).

ب- التفاعل بين الفطرة والتغيرات الثقافية والاجتماعية.الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يعتمد على التفاعل مع الآخرين من أجل البقاء والازدهار. فالرضع، على سبيل المثال، لا يمكنهم الوصول إلى مرحلة البلوغ إلا بتلقي الرعاية الكافية. ومن هذا المنطلق، يُمكن التأكيد على أن نجاح المجتمعات يعتمد على التعاون بين أفرادها. الغالبية العظمى من تصرفاتنا وأفكارنا تتمحور حول الآخرين، سواء عبر التعاون أو تقديم المساعدة، حتى لأولئك الذين لا تربطنا بهم صلات مباشرة، وهو ما يُميز البشر عن الكائنات الأخرى في العالم الحيواني. وبما أن الطبيعة البشرية تجمع بين حب المساعدة والأنانية، فإن الأخلاق تطورت لتدعم التفاعلات الاجتماعية الإيجابية وتحد من النزعات الأنانية مع ذلك، فإن اختزال الأخلاق في كونها نتيجة عملية تطورية فقط يُعد منظورًا غير مكتمل فبينما تُحدد بعض الصفات البشرية، كالبشرة، بالجينات فقط، فإن الأخلاق تعتمد على كل من الطبيعة البشرية والبيئة الاجتماعية. كما أن القواعد والقيم الأخلاقية تتغير بتغير الثقافات عبر الزمن(عمر ابراهيم:١٣٥-١٣٨)على سبيل المثال، يُنظر إلى صراع الثيران كفعل عنيف ضد الحيوان في أمريكا الشمالية وأغلب الدول الأوروبية، بينما يُعد في إسبانيا وكولومبيا جزءًا من الثقافة والتمثيل الفني، رغم المعاناة التي يتعرض لها الحيوان. كذلك، تُظهر العبودية مثالًا واضحًا على التحولات الأخلاقية، حيث أصبحت مرفوضة عالميًا في العصر الحالي، في حين كانت مقبولة في الماضي.تُبنى الأخلاق الإنسانية على مدى آلاف السنين عبر مزيج من التأثيرات الجينية والثقافية. هذا التفاعل بين الجينات والثقافة ساهم في تشكيل أمخاخ البشر بطريقة تجعلهم قادرين على الاهتمام بالآخرين، ومواجهة الاعتداءات، ووضع قواعد تُسهم في التعايش المشترك(جان ديستي،جيسون:٢٠٢١/١٢/١٠)في هذا الإطار يمكن النظر إلى النظريات التطورية التي قدمها الفكر الاجتماعي الغربي والتي ظهرت مع نهاية عصر التنوير، باعتبارها محاولات لفهم التغير الاجتماعي من مدخل زماني لا اجتماعي حيث شكلت نمطاً من التنظير الذي سعى إلى تحديد المراحل التي قطعها التطور الإنساني ابتداء من حالة المشايعة البدائية، وحتى عصر الصناعة... غير أنه مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت تحدث تغيرات واقعية، جذرية وشاملة... فقد رأى أوغست كونت أن ثمة تحول قد حدث في الواقع الإنساني من المرحلة الدينية إلى الميتافزيقية إلى المرحلة الوضعية، حيث يتحكم العلم في ضبط التفاعل الاجتماعي ... على خلاف ذلك كانت الرؤية الإسلامية للتغير الاجتماعي، كاملة ومكتملة منذ البداية. وإذا كان تالكوت بارسونز قد رأى في الفعل الاجتماعي النواة الصلبة لكل التفاعل والوجود الاجتماعي، فإن الرؤية الإسلامية رأت في الفطرة الإنسانية الوحدة النواة للوجود الاجتماعي، ففيها شفرات الخير والشر كما فيها شفرات الاستقرار والتغير فالله خلق الفطرة بشفراتها الغنية وجعل الإنسان خليفته في أرضه لاستنفار عناصر الفطرة التي تلائم حالة الاجتماع، وبالرغم من أن الله قد خلق الكون، إلا أنه ترك للإنسان بفعله الارادي تغيير المجتمع أو فرض استقراره بما يوافق فطرته. فالفطرة هنا هي المرجعية والفعل الارادي والعقل الإنساني هما أدوات الإنسان في تغيير الواقع الاجتماعي لذلك رأت النظرية الإسلامية أن الإنسان – استناداً إلى فطرته هو فاعل التغيير تصديقا لقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد: ١١] فإصلاح الذات وإصلاح الفطرة وتوجيه بوصلتها، في اتجاه الخير واتجاه ما هو إيجابي هو المدخل الإسلامي للإصلاح والتغيير الاجتماعي(حنان محمد:١١-١٣).

الفصل الثالث :التأصيل الفلسفي للعلاقة بين الثابت والمتغير

تشكل العلاقة بين الثابت والمتغير إحدى الإشكاليات الفلسفية العميقة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم. فهي ترتبط بجوهر الوجود وطبيعة التغيير والاستقرار، وكيفية فهم الإنسان للعالم من حوله. ينبع هذا التساؤل من الرغبة في معرفة ما إذا كان العالم يتميز بثوابت أزلية تحكمه، أم أن التغير والتحول هما جوهر الواقع.في الفلسفة الإسلامية، نجد هذه العلاقة تتجلى بوضوح في مناقشات تجمع بين العقيدة والشريعة والعقل، حيث يظهر الثابت في المبادئ الكلية والقيم الدينية، بينما يعبر المتغير عن الظروف الاجتماعية والحياتية التي تتطلب اجتهادًا يتناسب مع متطلبات العصر. كذلك، يتداخل هذا المفهوم مع الإشكالات المعرفية والأخلاقية، مما يبرز أهمية النظر إلى الثابت والمتغير بوصفهما محورين متكاملين يساهمان في تحقيق التوازن بين الأصالة والحداثة

١. تحليل الفلاسفة لقضية الثابت والمتغير:تحليل الفلاسفة لقضية الثابت والمتغير يعد من القضايا الفلسفية المحورية التي عالجتها الفلسفة منذ القدم وحتى اليوم. وهو ينطوي على البحث في طبيعة الوجود ومدى قابليته للتغير، وموقف العقل البشري من فهم الثبات والتغير في الكون. نظرة الفلاسفة المسلمين مثل الكندي والفارابي وابن سينا:بحثوا في العلاقة بين الثابت والمتغير من خلال التوفيق بين الفلسفة اليونانية والمعتقد

الإسلامي.رأوا أن الله يمثل الثابت المطلق، بينما الكون وما فيه متغير لأنه مخلوق.استخدموا مفهوم العلة والمعلول لشرح كيفية ارتباط الثبات الإلهي بالتغير في العالم(السيد علي الحسيني:٢٠٢٠).الغزالي: ناقش الثابت والمتغير في إطار نقده للفلاسفة. رأى أن التغير مستمر في العالم بسبب تدخل الإرادة الإلهية المباشرة.أكد على أن الله هو الثابت الوحيد، وكل ما عداه يتغير لأنه مخلوق مقارنة مع نظريات الفلاسفة الغربيين حول الطبيعة البشرية(ابو حامد الغزالي:مقال).

٢. في الفلسفة اليونانية بارمنيدس: رأى أن الثبات هو الحقيقة الوحيدة، وأن التغير مجرد وهم.يعتبر أن الوجود "واحد" وغير متغير. أكد أن الحس قد يخدعنا، ولا يمكن الاعتماد عليه لفهم الحقيقة.هيرا قليطس:كان على النقيض تمامًا من بارمنيدس، حيث قال إن "التغير هو الحقيقة الوحيدة".اشتهر بقوله: "لا يمكنك أن تخطو في نفس النهر مرتين".أكد أن العالم في حالة تدفق مستمر، وأن كل شيء يتغير باستمرار.في الفلسفة الحديثة والمعاصرة(فيداح صالح:١٥٣-١٥٤)ديكارت وكانط:ركز ديكارت على الثابت في إطار العقل والإدراك اليقيني، مثل قوله: "أنا أفكر، إذن أنا موجود".كانط ربط الثبات بالقوانين العقلية التي تنظم فهمنا للعالم، بينما الظواهر الخارجية تتغير(د.عايدة:٧٤٨).هيجل: قدم رؤية جدلية للتاريخ والوجود تقوم على التفاعل بين الثابت والمتغير. اعتبر أن التغير جزء من حركة التقدم نحو الحقيقة المطلقة(د.حسام الدين الفياض:١٢/١).

نيتشه: انتقد مفهوم الثبات، واعتبر أن الحياة هي صراع دائم وتغير مستمر(سعاد طيباوي:١٥-١٦).

.2التوفيق بين الثابت والمتغير:التوفيق بين الثابت والمتغير هو مبدأ أساسي في الفكر الإسلامي، ويمثل محاولة لتحقيق التوازن بين الحفاظ على القيم والمبادئ الدينية الثابتة والتكيف مع التغيرات والتحديات المعاصرة. يتمثل هذا التوفيق في العديد من المجالات، مثل الفقه، والعقيدة، والاجتهاد، والتطبيقات العملية. دور العقل والإرادة في تفسير التغيرات ضمن إطار الفطرة ،فلا بد من بيان علاقة العقل بالفطرة. فالعقل هو جانب من جوانب الفطرة، وقسم من أقسامها. قال الغزالي في ذلك: "أما العقل فأعني به الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يُدرك الإنسان حقائق الأشياء. وقد ذكر ابن عاشور أن الفطرة قسمان: فطرة جسدية، يُمثل لها بمشي الإنسان على رجليه ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية. واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية، وهو المسمى في علم الاستدلال فساد الوضع إذن، العقل قسم من أقسام الفطرة؛ فعند إطلاق معنى العلوم الضرورية على العقل يكون المقصود العلوم الفطرية التي فطر عليها الإنسان. وعند إطلاق معنى الغريزة على العقل، فإنَّ الغريزة تكون جزءاً من الفطرة المركوزة في البشر؛ حتى إن العلم المكتسب إذا أطلق على العقل، فإن هذا الاكتساب يبنى على العلوم الفطرية البدهية الأولى، وعلى العقل الغريزي الفطري. وعند تعريف الفطرة بأنها النظام التكويني الخلقي في الإنسان فإن الجانب العقلي يكون جزءاً من هذا النظام(نجيبة عابد:٨٤). دور العقل والإرادة في تفسير التغيرات ضمن إطار الفطرة يمثل محوراً مهماً لفهم كيف يتفاعل الإنسان مع محيطه ومع مبادئه الطبيعية. باختصار، العقل والإرادة يشكلان ثنائية ديناميكية تمكن الإنسان من فهم التغيرات والتفاعل معها ضمن إطار الفطرة، مما يضمن توازناً بين الثبات والتكيف.

نتائج وخاتمة البحث:

يخلص البحث إلى أن الفطرة الإنسانية تتميز بالثبات في جوهرها، حيث خلق الله الإنسان على طبيعة تميل إلى التوحيد والقيم الأخلاقية، مثل العدل والخير. ومع ذلك، تتفاعل الفطرة مع المؤثرات الخارجية، مثل البيئة والتربية والمجتمع، والتي قد تعزز هذه الفطرة أو تضعفها.

أهم النتائج:

١. الفطرة تمثل الأساس الفطري للإيمان بالله والتمييز بين الخير والشر.

٢. هناك جوانب ثابتة في الفطرة لا تتغير، مثل الميل الفطري للإيمان والأخلاق.

٣. الفطرة قد تتعرض للتغيير بسبب العوامل الاجتماعية والثقافية، مما يستدعي التربية السليمة للحفاظ عليها.

٤. الفلسفات الإسلامية تؤكد ثبات الفطرة، بينما الفلسفات الغربية الحديثة ترى الإنسان ككائن متغير.

٥. التربية والتعليم عوامل أساسية في تنمية الفطرة السليمة، بينما تؤثر البيئة والمجتمع في تشكيل السلوكيات والمعتقدات.

الخاتمة:

تُعد الفطرة مزيجًا من الثابت والمتغير، حيث تحتاج إلى رعاية مستمرة وتوجيه صحيح لضمان استمرارها وفق النهج الإلهي السليم. ويوصي البحث بأهمية تعزيز القيم الفطرية من خلال المناهج التعليمية والتأثير الإعلامي الإيجابي، مع التأكيد على دور الأسرة في حماية الفطرة من التشوهات الفكرية والاجتماعية.

المصادر

١. تأملات في جدلية التغير والثابت في الفكر الما قبل السقراطي- هيراقليطس وبارمنيدس أنموذجين، باحث دكتوراه: فيداح صالح، إشراف: زاير أبودهاج، ٢٠١٩/٢/١٦ – الجزائر.
٢. التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، حنان محمد عبد المجيد إبراهيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١- ٢٠١١/١٢/٣١.
٣. الفطرة مفهومها وإمكانية الاستدلال بها على وجود الله و وحدانيته: خليل عبد العبادي.
٤. تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر، ط١ ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٥. جدلية النظر والعمل في التأسيس الإسلامي لإلهيات الحضارة، حبيب الله بابائي، دار النشر المنهل _ ٢٠١٤.
٦. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، الناشر دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مكان النشر بيروت.
٧. الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، علي بن عبد الله بن علي القرني، دار مسلم للنشر والتوزيع- الرياض، ط١ -(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
٨. الفطرة وعلاقتها بأصول التشريع الإسلامي، نجيبة عابد، المعهد الدولي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٤/١١/٢٧.
٩. العلاقات الإنسانية، د. سيد عبد الحميد مرسي، دار التوفيق النموذجية – الأزهر، ط١- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
١٠. المعلم في الفكر التربوي الإسلامي، أ.د شريف محمد محمد شريف، دار النشر The Writer Operation: 70-71.
١١. الملتقى الفكري للإبداع: مقالة الفطرة الإنسانية وتجاذب الخير والشر في الرؤية الإسلامية، هشام منور.
١٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢_١٣٩٢.
١٣. لسان العرب، ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف- القاهرة.
١٤. مراعاة الفطرة الإنسانية في الشريعة الإسلامية، هزرشي عبد الرحمن، منشورات دار أسامة – الجزائر، ط١-٢٠٠٩.
١٥. نيتشه والعدمية: العالم من التأويل الأنطولوجي إلى التأويل الأكسيولوجي، سعاد طيباوي، ٢٠١٥/٥/٣١.
١٦. نظرية المعرفة عند كانط، د.عايدة عبد الحميد عبد الرحمن
١٧. المقالة أدلة وجود الله الدليل الثامن دليل الفطرة : د. البشير عصام – إسلام ويبhttps://www.islamweb.net
١٨. المقالة رؤية هربرت ماركيوز لمفهوم السلب عند هيجل : د. حسام الدين فياض، ٢٠٢٢/١/١٢https://arrafid.ae
١٩. الدرر السنية: مرجع ديني موثق على منهج أهل السنة والجماعة ، بإشراف علوي عبد القادر السقافwww.dorr.net
٢٠. شبكة الألوكة، دور المدارس في غرس القيم الأخلاقية : د. شيرين لبيب خورشيد، ٢٠١٩/٩/٢٢https://www.alukah.net
٢١. مجلة الجامعة العراقية: الفطرة في القرآن الكريم وأثرها في العقيدة : م.د محمد سعدون جاسم.
٢٢. محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع : محمد الغزالي، ط١، دار نهضة مصر.
٢٣. مقال أبو حامد الغزالي ومبدأ السببية ، دعوة الحق، مجلة تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكرhttps://www.habous
٢٤. مقال برامج إذاعة القرآن الكريم ودورها في تكوين الفرد المسلم : د. هالة العسيلي، دار العربي للنشر والتوزيع
٢٥. مقال سؤال الثابت والمتغير في حداثة الكلام والفقه : السيد علي الحسيني، ٢٠٢٠/١١/٢٤https://alrasd.net
٢٦. مقال هل الأخلاقيات مغروسة فينا... أم نكتسبها بالتطور والتفاعل الاجتماعي : جان ديستي، جيسون م. كويل، ١٠ ديسمبر ٢٠٢١https://kids.frontiesin
٢٧. الملتقى الفكري للإبداع: مقالة الفطرة الإنسانية وتجاذب الخير والشر في الرؤية الإسلامية : هشام منور http://www.almultaka.org

1.Reflections on the Dialectic of Change and Constancy in Pre-Socratic Thought: Heraclitus and Parmenides as Models, PhD Researcher: Feddah Saleh, Supervisor: Zair Aboudhaj, 16/2/2019 – Algeria.
2. Social Change in Modern Islamic Thought, Hanan Mohamed Abdel-Majid Ibrahim, International Institute of Islamic Thought, 1st Edition - 31/12/2011.
3. Fitrah: Its Concept and the Possibility of Using It as Evidence for the Existence and Oneness of God, Khalil Abdul-Abadi.

4. Raising Children in Islam, Abdullah Nasih Alwan, Dar Al-Salam for Printing and Publishing, 1st Edition 1396 AH - 1976 AD
5. .The Dialectic of Theory and Practice in the Islamic Foundation of the Theology of Civilization, Habibullah Babai, Al-Manhal Publishing House, 2014.
6.Refutation of the Contradiction between Reason and Revelation, Taqi al-Din Ahmad ibn Taymiyyah, Edited by Abdul-Latif Abdul-Rahman, Published by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1417 AH - 1997 AD, Beirut.
7.Fitrah: Its Reality and the Views of People About It, Ali bin Abdullah bin Ali Al-Qarni, Dar Muslim for Publishing and Distribution - Riyadh, 1st Edition (1424 AH - 2003 AD.(
8.Fitrah and Its Relationship to the Fundamentals of Islamic Legislation, Najiba Abid, International Institute of Islamic Thought, 27/11/2024.
9. Human Relations, Dr. Sayed Abdel-Hamid Morsi, Al-Tawfiq Model Publishing House – Al-Azhar, 1st Edition - 1407 AH - 1986 AD.
10. The Teacher in Islamic Educational Thought, Prof. Dr. Sherif Mohamed Mohamed Sherif, The Writer Operation Publishing House: 70-71.
11. The Intellectual Forum for Creativity: Article on Human Nature and the Attraction Between Good and Evil in Islamic Perspective, Hisham Manour.
12. Al-Minhaj Commentary on Sahih Muslim by Al-Hajjaj, Abu Zakaria Muhyi al-Din Yahya ibn Sharaf al-Nawawi (d. 676 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi – Beirut, 2nd Edition - 1392 AH.
13. Lisan Al-Arab, Ibn Manzur, Edited by Abdullah Ali Al-Kabeer, Mohamed Ahmed Hasballah, and Hashem Mohamed Al-Shazly, Published by Dar Al-Ma'arif – Cairo.
14. Considering Human Nature in Islamic Law, Hazrashi Abdul-Rahman, Osama Publishing House - Algeria, 1st Edition - 2009.
15. Nietzsche and Nihilism: From Ontological Interpretation to Axiological Interpretation, Souad Taibawi, 31/5/2015.
16. The Theory of Knowledge in Kant's Thought, Dr. Aida Abdel-Hamid Abdel-Rahman.
17. Article: "Evidence for the Existence of God: The Eighth Proof – The Fitrah Argument," Dr. Al-Bashir Issam – Islam Web.https://www.islamweb.net
18. Article: "Herbert Marcuse's View on Negation in Hegel's Thought," Dr. Hossam El-Din Fayad, 12/1/2022.https://arrafid.ae
19. Al-Dorar Al-Sunniyah: A Verified Religious Reference Based on the Methodology of Ahl Al-Sunnah Wal Jama'ah, Supervised by Alawi Abdul Qadir Al-Saqqaf. www.dorr.net
20. Alukah Network: The Role of Schools in Instilling Moral Values, Dr. Sherine Labib Khorshid, 22/9/2019 https://www.alukah.net
21. Iraqi University Journal: Fitrah in the Quran and Its Impact on Belief, M.D. Mohamed Saadoun Jasim.
22. Lectures of Sheikh Mohamed Al-Ghazali on Individual and Social Reform, Mohamed Al-Ghazali, 1st Edition, Dar Nahdat Misr.
23. Article: "Abu Hamid Al-Ghazali and the Principle of Causality," Da'wat Al-Haq, a Journal Concerned with Islamic Studies, Culture, and Thought. https://www.habous.ma
24. Article: "Programs of the Quran Radio and Their Role in Shaping the Muslim Individual," Dr. Hala Al-Asaily, Al-Arabi Publishing and Distribution.
25. Article: "The Question of Constancy and Change in the Modernization of Theology and Jurisprudence," Sayyed Ali Al-Husseini, 24/11/2020. https://alrasd.net
26. Article: "Are Ethics Instilled in Us... or Do We Acquire Them Through Development and Social Interaction," Jean Desti and Jason M. Coyle, 10 December 2021. https://kids.frontiersin.org
27. The Intellectual Forum for Creativity: Article on Human Nature and the Attraction Between Good and Evil in Islamic Perspective, Hisham Manour.http://www.almultaka.org